

## تجليات في منطلق العودة أو

# عودة الحصان الأخضر المجنح

بقلم شاعر حسن آل سعيد

### ٣ - التجلي الثالث :

#### الإنسان العائد المجنح ، أو فصل في التناقض

قال البلاغ : « رأيت طيرا من طيور الصوفية عليه جناحان ، وانكر شأنه حين بقي على الطيران فسألني عن الصفاء ، فقلت له : أقطع جناحك بمقارض الفناء والا فلا تجمني . فقال بجناح اظير . فقلت له ويحك ليس كمثلته شيء وهو السميع البصير . فوقف عندئذ في بحر الفهم وغرق » . ص ٢١ الطوايسين

\*\*\*

ينجز (✳) العمل الفني : بقعة ماء على قارعة الطريق ، أو اخاديد على القار . كلا . انه القار نفسه ، يخلط بالحصى ، وتفرش به الارض ، ويستنوسه الاقدام والعجلات ، وسيكنس ويتصدع ... وستلتصق عليه بعض الازبال وتتجسد على سطحه فقاعات وتحفر ملامحه نهايات احذية النساء ، وتكنم في أديمه غطاءات القناني ، او تعشش فضلات ذهبية اللون لحيوانات ظلفية عابرة ... ولكن اراه ، وتراه انت هناك ، بلونه الرمادي قطعاً تفصل بينهما الشقوق . القار ظل على قارعة الطريق ، والشقوق كانت من تأثير المناخ ، اما انا وانت فسوف نستنتج (جمالية) العمل الفني من خلاله ... مسن خلال هذا الانسان المسحور (١) .

« وظل الانسان لاصفا بالارض » . ليس للانسان اي جناح ، اما الفنان فقد يشف وجوده عن الطائر لان ( الطائر هو التجسد الحيوي للانسان ) (٢) ولكن ذلك القار هو ( تجسد ) حيوي ايضا ، لا يزال الانسان من خلاله أكثر تحليقا في الفضاء . فيقدر مسا يلتهق بالارض يعلو في السماء . اما اذا تسنى له ( الفوص ) في القشرة الارضية نفسها فسيكون في عداد من يخترق الغلاف الجوي . ومن ذلك ان يكون كلاهما في اقصى الاحوال عنصرا من عناصر العمل الفني نفسه .

« بأي جناح اظير ؟ » . وبمثل هذا السؤال الذي لا يزال يرثى في اذن الخليقة منذ الازل ( ازل الاشكال : راجع عبد الكريم الجيلي ، الانسان الكامل ، في معنى الازل ) ينطق الحجر الابكم . لقد كان نصفه (٢) مسحورا ( اي مسحوخا ) الى صخرة صماء . فلما زال عنه السحر اصبح انسانا تاما . وينطق القار ايضا عن تحليق الانسان المجنح ، ولكن قبل ان يخرج من النافذة . وما بين الحكاية الاسطورة وطبقات البناء السومري يدور الحوار ... ولكن عمل الفنان كان في دوره السرمدي

(✳) راجع القسم الاول من البحث في المدد الماضي من «الاداب» .  
(١) حينما يحسب حبيب احياء المظهر المادي للطبيعة ، هكذا ، فلكي يستعيد من خلال ذلك فناء ابدي لآخر مظاهر الحياة المتطورة على سطح الارض : الانسان .

(٢) مجلة الاقلام : مشروع بحث في الابعاد الفنية : شاعر حسن آل سعيد ، ص ٦١ ، مجلة الاقلام ، ج ٥ ، السنة الثانية ١٩٦٦ .

(٣) تروي حكايات ألف ليلة وليلة عن امير سحرته الجان الى نصفين اولهما من الصخر وهو النصف السفلي . واحسب ان هذا المثال الاسطوري خير شاهد على ازدواجية ( الانسان - المادة ) . على همود الجثة - الجسد . ان المنهج المتراجع ( التخلّف العكسي ) للتطور يظلمنا على امر المخلوق منذ ان لم يكن قد كان الا كما اراده الله .

أنيا ورسائله الفضائية ارضيا . ولم يسمع من المندليب سوى تفرده ، وكان يطير دونما جناح . فقد استغنى عن جناحه بقفص مسن الحديد الاخضر . وكما اصبح المندليب ارضيا اصبح القفص فضائيا . فقد اكتسب صفة جناح اسيره . اما المندليب ، فما جدوى جناحه اذا هما لم يلقاه في سمانه ؟؟ . ومن خلال رفيف اجنحة لا جدوى منها ، وصمت قصبان لا جدوى منها اسمع ، وتسمع انت ، الاصوات .

فيا لهمهمة الابكم - الناطق ! ويا لتحليق الدارج - الطائر ! ولكن نجربة المندليب ذي القفص الاخضر كانت من تشقق القار وهو في اتونه ، ومن نطق بطل الاسطورة المسحور وهو في حالة مرضية . فالاسطورة كائن مجنح قبل ان تصاع ، والقار المشقق ( فوق ) الارجل حينما كان منصهرا . وكذلك ذلك المندليب فهو في اتم تحليقه حينما كان يحاول ان يزيل عن نفسه ( خضرة ) اللون الذي طلى به قفصه ، وتلطف هو به . فقد كان يكتشف جناحيه بواسطة منقاره ... منقاره الرمادي الصغير ولكيما يطير في قفص غير منظور ولا مرئي .

ولا يستطيع الفن ان يكون طيارا ، ولا الفنان ان يكون انسانا مجنحا اذا هو لم يجد السالب في الموجب ، لا كتناقض بل كتعاقل ، ذلك ان منبت الجناحين هو ( تداخل ) كل من الضحية والجلاد . « هنا يمكننا ان نضع عنوان الفصل هكذا : فلسفة التعبير الفني وفيه يتجلى معنى العودة اي تعارض كل من الشكل واللا - شكل » .

فانا انت ، وانت هو ، وهو هي ، ونحن هم ، وانت انا ، وانا هو ، وهو انا ، وانا نحن ، وهو انت ، وهي هو ، وهو انت ، وهم نحن ، وانا انا ، وانت انت ، وهو هو ، وهي هي ، ونحن نحن ، وهم هم . وهكذا فان اول معارج ( الفناء ) فيما بين الشكل واللا - شكل هو ان اجد انا الانسان نفسي في المندليب ، والمندليب في القار ، وان اجد ايضا نفسي في القار . وحينما تتداخل ( الابعاد الحياتية ) ، اذن ، تفنى الصفات ، وحينئذ فقط يضحي بإمكان العمل الفني ان يكون عملا فنيا بحق وحقيق . ذلك انه سيكون ( بديهية ) وليس ( تعبيراً ) او ( قيمة ) .

\*\*\*

المندليب في لون قفصه ،

وجناحه فضيانه .

القار من لون وهجه ،

ومنصره جوامده .

وعلى الوجوه تبدو حقيقة بريق العينين ، اما العمى فبريق اعينهم في قلوبهم .

والوجه المجنح هو بقاء العين وبراءتها . والاعمى المبصر هو من لا ينظر حتى في ( مرآة ) نفسه . فما عسى ان يكون القفص حتى في ( صورة ) مرآة ؟؟ ما جدوى ان تبصر العين دونما دموع ، ودموع ؟؟!

ذلك ان اللون الاخضر ان يستحيل الى قفص حقيقي اذا لم يلتصق بجسدنا . والتشقق الذي يتعرض له القار ان يكون تشققا حقيقيا اذا لم يحدث في نفوسنا .

جناح الانسان من تجربة المندليب ،

والقار منبت جناحيه .

فالمندليب في قفصه تحرر من اللون الاخضر ، والقار في ( موقعه من مواطء الاقدام ) تحرر من ( مجانيته ) . والانسان العائد من ( محنته )

تخرج من غروره . ففتى نبت اذن جناحه ؟؟

والمشكلة الاساسية تبدأ من هذه المعادلة المنطقية :

« الانسان كائن ارضي ، والانسان كائن حر ، فالارض كائن حر » .  
ومن هذا المنطق اللامنطقي ... هذا العبث العقلي (؟) يتولد  
الجناح .

ان العبودية او الالتصاق بالارض لا تصبح حرية مطلقة (ه) اذا  
هي لم تفلت من زمام الموقف ، والانسان المجنح هو من يفلت من زمام  
( غروره ) . انه ليس حراً لانه انساني ، ولكنه حر لانه عبد . انه  
حر لانه ( هو ) هو على سجيته دونما ( شعور ) بالعبودية . فله ان لا  
يتجاوز وضعه مبرراً عن تهرده لانه ليس بالتمرد . هو كذلك لانه في  
رحلة ازلية وانطلاق .

وهكذا العندليب . فجناحه من لون قفصه الجديد ، وشقوقه  
من اخاديد مجاري ( منصوره ) الازلي ( انه ازلي بنظرة انسان فان ) .  
انه هو هذا الطائر الماشي والعبد الحر . لكن الانسان صائر مع ذلك  
لان يكون فنانا . وفن الانسان طيرانه .

\*\*\*

الارضي اجتماعي . انه هذا الجسد المادي الوجود ، والجنة ذات  
الابعاد . وهو الآلية التمبرية . اما الحر فهو الإرادة الشاملة واللا -  
آلية . وفجأة يكشف المادي ارادته والآلي شموله ، وتسقط جميع  
( الاختام ) الساحرة دون ان تمس . وهكذا تفتح الابواب اصابع  
سحرية ، او بصورة موضوعية ، اسطورية غير مرئية ( فيسمع الصرير ) ،  
ويطير العندليب من غير ان ينشر جناحيه ، فيعلو بجسده دون ان يرفعه  
عن الارض . ويسيل .. يظل يسيل ، الفار على قارعة الطريق ، فلقد  
ولد الفنان .

ولد الفنان . ولكنه تجاوز ارضه ولم يعد لها . فاذا ما عاد  
فسيعود غريباً . وهكذا يصبح الانسان مجنحاً في طرفه عين . نعم .  
اصبح الانسان مجنحاً بواسطة فنه ، فهل كان له ان يظل محلقاً ؟ ولكن  
الانسان اللا - آلي ليس بالعندليب الصناعي ، ولا بالفار الفاقد لخصائصه  
الطبيعية النقية اذ سرعان ما يكتشف انه بحاجة الى قدميه ، وانه في  
ضرورة ماسة لان يتجمد ، ولان يعود الى لا آلية حريته المائلة . انه  
سيحتفظ بجناحيه وقدميه في نفس الوقت ، وبجموده وانصهاره معا .

(؟) العبث العقلي هو عين الكشف اليقيني . حيث المعرفة لا  
تكتسب ابعادها المألوفة ، وحيث المنهج هو على النقيض من المنهج  
المنطقي المنظم . واذا ما حللنا معناه من التلاحية الاصطلاحية ( ونحن  
هنا غير عابثين ) نصل الى ان معناه لا يعدل ان يكون ( عدم جدية العقل  
بـ او الاتجاه العقلاني ) فاذا ما غمزه ونحن عابثين فنستقول انه الجنون  
( ومن لنا بالجنون في الحياة ؟ ) الا ان العبث العقلي ، مع ذلك ، وفي  
اول مراحلها هو ( مكروس ) المنهج الجدي ؛ اي انه ( اللا - مألوفية ) .  
فالنا عابث عقلي ( لا عقلاني ) حينما تصرف بصورة غير مألوفة ( ولكني ،  
بعد ، غير مجنون ) . اني انما : اناقض تصرفاتي الانسانية المعقولة  
ولكني لست اجدها كإنسان . وهو في مرحلته الوسطى عدم اهتمام  
بها - اي بكونها عبثاً صادراً عن انسان يدرك مناقضته للتصرفات  
الانسانية المعقولة . انه سيفنى عن ( جده المنطقي ) من خلال ( عبثه  
المنطقي ) . اما في مرحلته الاخيرة فسوف لا يفنى عن انسانيته  
المعقولة فصعب بل عن انسانيته بالرة . سيتحد ( مجازاً ) مع العالم  
الخارجي ، او يمكن ان نقول انه سيكونه ( ولئن دون ان يتقمصه او  
يتجسده ) ، سيمارس منه ( جده - اللامنطقي ) او بتعبير آخر ( لامنطقه  
- الجدي ) . ... سيفلسف ( عبثه ) ، وسيكون بالطبع ( مجدولاً )  
وبالمعنى الصوفي ... سيتصرف كحيوان او كطائر او كمجرد مادة .  
(ه) وهي غير الصمدية . فالحرية في الصمدية هي حرية الواحد  
بل الاحد ؛ ومن ابعاده ان يكون بلا بداية ولا نهاية . ومثل هذه  
الحرية المطلقة لا تسترط وجود العالم الخارجي كشرط لوجود الانسان ،  
في حين ان الحرية المطلقة عند من يفلت من زمام المألوف بتشكليها  
النهائي - اي حرية ( لا - منطقي - جاد ) هي حرية ( المجدول ) حيث  
( ثنائية ) الانسان والعالم .

وبعد ان تستنى له ان يكون ( آتما - قديسا ) سيعود ( قديسا - آتما ) .

\*\*\*

ويسير المنطق الجمالي في ركاب هذا المنهج الصوفي .  
كان المادي مبرراً عن الروحي ، والان ، فعلى الروحي ان يعبر عن  
المادي . سيمبر الفنان عن المتفرج ... عن المشاهد بعد ان عبر لنا  
المشاهد بل المتفرج عن الفنان .

\*\*\*

وفي العمل الفني لا تلبث المحاولة ان تصبح تجربة ، والتجربة  
فعلاً . ان العمل الفني الحقيقي هو ان يكون الانسان فناناً بواسطته  
والا فهو مجرد لبوس يلبسه وغطاء يندثر به . وفي صميم الفصل ،  
سواء اكان تصوراً ام فعلاً ، يطو الفنان .. يعرج ، وهو انما سيتجه مع  
ذلك . واتجاهه هذا سيكون المراج الذي يسلكه ، والاداء المادي -  
الروحي الذي يؤديه . ولكن في صميم الاتجاه والسمو سيتحقق الفعل  
بابسط مظهره ، وسيتلاشى كلما تعقد متطوراً نحو شكله كتجربة  
وكمحاولة .

الطائر يطير فحسب . فهو لا يتعلم شيئاً اثناء طيرانه ( فقد سبق  
ان تعلم ذلك في محاولاته الاولى للطيران ) وهو يمارس طيرانه في حالة  
حضور شعوري ، والفنان الطائر هو من تتقدم امامه الابعاد والاتجاهات  
لانه في صميم الابعاد والاتجاهات . وليس ثمة ازاءه من صعود او هبوط  
وانما الطيران الفعلي فحسب .  
فلماذا سيعود ؟  
ولماذا ستعتمد عنده الابعاد ؟

يبعد انه سيعود لانه لم يجد شيئاً ، ووجد كل شيء . وستعتمد  
الابعاد لانها لم تكن بالابعاد ازاءه من هو في صميمها . لم تكن بشيء  
وكانت كل شيء . وهكذا فما بين ذهاب وعودة الفنان ، ما بين اتجاهه  
نحو جهة ما وعودته من تلك الجهة سيتغير شكل العمل الفني .  
سيستحيل العندليب الطليق الى حبيس ، والفار المنصر الى منجمد ،  
والطائر الى انسان . ففي الفن وحده يتسنى للانسان ان يكون لا -  
انساناً ، ويتسنى للا - انسان ان يكون انساناً .. ان يستحيل اللا -  
مألوف الى مألوف ويتساوى كلاهما في ان يصبح ( بديهية ) . وهذه هي  
حقيقة الانسان المجنح .

وفي كل ذلك يندم المصير ، وتتجلى ( جبرية ) العمل الفني :  
فالفنان الذي يكتشف بعد لاي ان ليس من فارق ما بين ذهابه وعودته  
... ما بين ايجابيته وسلبيته ، وما بين شكله ولا - شكله لن  
يجد ما يسعى الى تحقيقه كعمل ابداعي . اذ يصبح ابداعه وتجديده  
هو ليس اكثر من ( دقة ) في العمل الفني واستمراره في الانجاز . وهكذا  
يتقدم امامه مصيره .. هدفه الواضح ، ويستحيل وجوده الى حالة  
من ( عبث جدي ) . فهو مكرس لغير حريته ، ومهيأ لاكتشاف وجود  
اشمل من وجوده . انه حالة ايمان في موقف ( توكل ) . وفي الفن لا  
يصبح التوكل الا ممارسة جميع التوصلات الممكنة ( اي بحكم الوقت )  
دونما اتجاه معين (6) . انه وحدة الشكل واللا - شكل والتقاؤهما في  
كل ما هو عمل فني .

\*\*\*

#### ٤ - التجلي الرابع : من قيم العودة

قال السهروردي قبي اصوات اجنحة جبرئيل :

(٦) الا ان التمداد الاتجاه هنا هو انعدام القصدية ، وليس النية  
نفسها . والعمل الفني وان بدأ وكأنه يتخبط في غير ما طريق واضح  
المعالم فذلك لانه بحكم كونه محاولة لتشق طريقه . فما اساليبه الممكنة  
سوى ما عبر فيه باخلاص وصدق وليس الاسلوب هنا هو كيان مادي  
يتعلق بالمهارة في الاداء ولكنه هو المهارة في الابداع ، اي الكشف عن  
الحقيقة ، والو بغياب الشخصية الفنية نفسها . ولا يعني ذلك بالطبع  
استغارة شخصية فنية اخرى تحل محل شخصيته وتقودها ، ولكن فناء  
كل ما يستشوب بحوثه الخاصة والو بحضور الحقيقة .

« .. فسألته في اي اقليم توجد المدينة ؟؟ فقال في

اقليم لا تجد السهابة اليه متجها .. »

\*\*\*

يبدأ العمل الفني من ( اللا - شيء ) وينتهي الى ( اللا - شيء ) .  
وبنفس المعنى يمكننا ان نذكر الانسان ، لا كعالم اجتماعي ، وتقاليدي  
بشرية ، ولا كذات والنزاع ، بل ( كفناء ) وتقمص لا - ابالي بالعالم  
والذات على السواء . والانسان كالعامل الفني يبدأ من اللا - انسانية  
وينتهي الى اللا - انسانية . وكذلك العنديلين .. غناء العنديلين  
يولد من الصمت وينتهي الى الصمت . فهو كتفريد تعبير تمردى ، عن  
الفرجة والاحساس ، وهو ايضا تعبير مجاني ، كفعل ذي ابعاد جمالية .  
اما القار في موقعه على فارة الطريق فسواء هو فسي جموده او  
سيولته ، عفويا ، في ان يظهر لنا وجه الصدفة في ابراز الجمال .

والعمل الفني ( من خلال الفن والانسان والعالم الخارجي ) هو  
ثبات على شيء ، او انه لا - شيء . فاذا ما بدأ به من النقطة كاتجاه :  
اي تلافي ثلاث مستويات ، فلن يظل امدا طويلا لكيما ينتهي اليها .  
ذلك ان اي خط سيرسمة فيما بعد ، او اي سطح يظل في صميمه  
نفس اللا - ابعاد التي انبثق منها ، طالما لم يتطور بواسطة استحالتة  
الى كتلة حينما سيتمحه الظهور الخارجي بعده الثالث . فاذا ما امتلك  
هذا البعد فان السطح الذي اصبح حجما يفقد الان مزيتة في ان يكون  
مجالا للاتجاه حتى كخط مفلق . وهكذا ، فالانحياز في اساسه هو ( لا -  
اتجاه ) الا اذا كان شكلا متصورا ، ولكن تصور الاتجاه ليس من صميم  
العمل الفني . فهل للخط المرسوم في صميمية الا ان يظل ( زخرقة )  
محطة او بصيغتها ما ؟؟ في حين ان النقطة التي لا تلبث ان تصبح سطحا  
نظل ، كحركة لولبية ، وكدوامة ، محيطها من مركزها . واذا ما بدأ ،  
اي العمل الفني ، من الخط كنقطة فهو لا يلبث ان يكرر نفسه دونما  
ملل . ويتجلى حتى في امتداد اجزاء المحيط الذي ينبثق منه . ذلك  
انه صائر في النهاية ، مهما استفام ، الى انفلاق . وانفلاق اي مدخل  
انفتاحه الفيسيبي . لان انقطاع اي عمل حركة في العمل الفني هو  
استمرارها الداخلي (V) . ان اي خط هو في نهاية الامر ، كبدائته ،  
استمرارا لنهاية له ، وامتدادا لانقطاع له ، واشعاع لا يمكن بجنبه .  
وهكذا . فالتبات في اساسه هو لا - ثبات .. هو شمول النقطة  
وتعددها . اي الحركة في شتى الابعاد .

وفي اللون ، وهو مسؤولية الرؤيا الفنية ، لا يلبث السطح  
التصويري ان يكتسب قيمته التعبيرية ، كمجموعة من الاشكال، وكشكل  
عام في نفس الوقت في حين ان منطق الرؤيا يستدعي فناء اللون من  
خلال الضوء والدرجة . فالبحت اللوني في صيرورتي ، كبدية وليس  
كتعبير هو في نهاية الامر بحث تقييمي خارج نطاق الصيغة وبواسطة  
تكون ( الظلال الفعلية ) .. الظلال التي لا تصيفها درجات الالوان بل  
كتافتها . ومن هنا فاللون هو ( لا - لون ) كبحث خطي اتجاهي . الا ان  
غاية العمل الفني وسببه ( مهما كان متلاشيا بواسطة تكافته المتناقض ،  
كلاشيء يصبح شيئا ) هو السطح التصويري في شكله المربع او المستطيل  
حيث لا يلبث ان يكون جزءا من كل . وما الكل سوى السطح الذي لا  
حدود له ولا مسمى .. السطح الذي ينداح مهما نظرت العين  
ويستعرض فهما امتدت قطعة القماش . وهو في النهاية ليس اكثر من  
دائرة واسعة لا حدود لها . دائرة وليس كرة . وهنا تبرز مشكلة  
اساسية في العمل الفني . فالانسان صائر الى ان يعبر عن الانسانية .  
والانسان صائر الى ان يعبر عن اللا - انسانية ، واللا - انسان سيعبر  
عن الانسانية ، واللا انسان سيعبر عن الانسان . فمن هذا التداخل  
ما بين الجزء والكل .. ما بين الشيء واللاشيء يبرز السطح الفني .  
كربع ودائرة لا نهاية لمحيطها . كنقطة ، وكمساحة . ولكن التسطیح  
في نهاية الامر هو مبني الاسس . ذلك انه المنطق المادي للعمل الفني .  
فكل ما سيرسم عليه سيكون حصيلة التصور لكتلة والنظور واللامح .  
في حين ان ما يمكن تكريسه للسطح هو الخط وحده ( وهذا هو المنطق

(V) ان السكون الظاهري للجسام لا ينفى حركة اجزائها الداخلية،

او مكوناتها .

الخاص ) .. الخط الذي مهما يقال عنه فسيكون امتدادا صائرا الى  
ان يصبح سكونا . فهو هو الشكل الفني للسطح . اذ ليس بالامكان  
رسم خط ما دون ان يكون في نفس الوقت مساحة . ومن هنا فالعودة  
الى فن السطح هو اندياح لا مفر منه في سياق التعبير الخطي . حيث  
الحركة والسكون منجسدان في كيان واحد . وحيث الاستفاضة عن  
العمق والمنظور بالاتجاه والفراغ ، وحيث الاكتفاء بالان في الماثورة  
وبالعنوي في المادي .

والخط في مجاله الارضي يبدأ من طبيعة السطح ، ويتجه نحو  
اللا - اتجاه . ومن خلال غيبوبة القصد ، واضمحلال الغاية ينقذ  
اللاشيء من ان يكون شيئا ، والخط من ان يكون خطا وليس اثرا ، فما  
هو الا سطح غائب وحاضر معا ، وامتداد فضائي وتشكيلي . انه سراب  
في سراب .

\*\*\*

في فجر ما كان الانتظار يمتزج بالتسكع ، وعند اعتاب المعبود  
تستلقي الاحذية (A) والسجاد والاجساد .. الاجساد التي آتت  
الاستلقاء على الوقوف ، وكانت ، لا بد ، تقول ما لا تفوه به . ثم انساب  
كل شيء بفتنة نحو ان يصبح شيئا ما .

العنديلين يفرد فتسمعه . وهو يفرد وان لم تسمعه . ونحن  
حينما نقول ما نريد ان نقوله فسوف نصمت . ولكن اي صمت هو  
هذا الفناء السطحي ( الظاهري ) للحركة .. للحياة ؟؟ الصمت الحقيقي  
هو الخرس (B) ، ومن يدري كم ينطق الابكم بحكم الصدفة .

عند اعتاب المعبود استلقت ( الطبيعة ) تتعبد ، ولم تكن نسمعها  
لاننا لم تكن في سلبية ايجابيتها . الا يتسنى لنا احيانا ان نسمع خريف  
الماء ؟ ولكن اطيافنا التي نسبح فيها في لبح من مياه الكهوف ستشمر  
هناك خلال همسة تيار نازف .

ان الماء الذي نشربه ليس كالذي نحلم به ، ونحلم به البشرية  
المعطشى ، بشرية . وان الماء الذي ( يحلم ) بان يستقر في اجوافنا  
ليس هو هذا الماء الذي يخلو من اية رائحة وطعم .. ومع ذلك فقد  
امتزج الحلم بالنصور ، والنوم باليقظة ، في عدة لحظات من تجلي .  
وانحد الانسان بالطبيعة في وحدة من الزمان والمكان .

في مطلع اللحظات الاولى امكنني ان اقول في نفسي : اولئك  
ينامون عند الاعتاب ، واخرون يظنون فرادى . وفي فردية الانسان نبدو  
موضوعيته ، لان الذي يوحد ما بين الانسان وربيه هو اتجاه الانسانية  
لربها . ولكن ما اشد غرور هذا الكائن الذي يتصور انه يقاسم غير  
نعمه . والمتعبد المفرد هو المتواضع ( ان فردية المتعبد لا تتسم دون ان  
تستوفي شروطها وتتكامل ابعادها .. كغيباب عن العالم الخارجي والفناء  
في المطلق ولو بحضور النسبي ) .

وفي الفن تبدو قيم الرجوع من خلال عودة الحصان الاخضر المجنح  
ضربا من الفناء الحي . فليس الامر هو مجرد جمالية الابداع الفني ،  
سواء من خلال القيم الانسانية او الفنية . بل هو ابعد من ذلك - اذ لا  
وجود فني بلا وصول - فهو فناء كل ما عدا البديهة ، اما فناء البديهة  
فبديهة الفناء . وهكذا . تصبح قيمة العودة الرئيسية انتهاء للعمل الفني  
( اي اقلع فوصول ) . او ذهابا وعودة ، وبواسطة تلاقي كل من الشكل  
واللا - شكل ، وما هو انساني بما هو لا انساني ، وبواسطة ما هو  
مألوف بما هو لا مألوف . وسيان هنا ان نبدأ من النقطة او الخط ،  
وسواء ان يكرس الواقع للفني او ما هو مجسد لما هو مسطح فالعمل  
الفني استحالتة الى ممارسة ، الى انجاز فحسب . وسيختلط فيه الفن  
( بالفعل ) ، والانساني بالمادي ، وذلك فيما يشبه تفريد عنديليين ، وصلابة  
قار ، وحيوية انسان .

شاكر حسن آل سعيد

بفداد

(A) « وأخلع نعليك أنك في الورايد المقدس طوبى » القرآن الكريم

(B) في احد كتب التصوف ، اظنه ( التصريف للكلياذي ) ، هذا

النص لاحدهم : « التصوف كلمة اليرسام . في اولها هدايات فاذا تمكنت

اخترت . » فمن لنا ياخرس الصوفي !